تمهيد

فَرَضِيَّةُ (الشعوب السَّاميّة، واللُّغات السَّاميّة)

فـــرضيــةٌ خُـــرافِـيّـــةٌ لا أصـــلَ لـــهـــا

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾

[الحجرات: ٦]

فَرَضيَةُ الشعوب الساميَّة، واللغات الساميَة
فرضيةٌ خرافيةٌ - لا أصلَ لها[1]

قد تستغرب، أخي القارئ، عندما يقال: إنَّ فرضية الشعوب السّاميّة، واللُّغات السّاميَة.. فرضية خُرافية لا أصل لها! وأنت معذور في هذا الاستغراب، لأنك تسمع هذا الإنكار لوجودها، لأول مرّة. ولكنها الحقيقة، كما يتبين لك، من خلال هذا البحث!

- وأنت تذكر أن المعتصم - الخليفة العباسي - قرَّر أن ينتقم لشرف امرأة مُسلمة، رفع عِلْج من عُلوج الرّوم ثوبها عن جَسَدها، فقالت: وامُعتصماهُ! مُستغيثةً بالمعتصم. وقد استدعى المُعتصم المُنجمين، ليرَوْا: متى يستطيع أن يفتح عَمّوريّة - بَلَدَ ذلك العِلج؟ فقالوا: لن تفتح قبل نُضج التين والعنب!

- بَيْدَ أنّ المُعتصم ضَرب بكلامهم عُرض الحائط، فأعدّ جيشا وتوجّه لعموريّةَ في سنة ثلاث وعشرين ومئتين للهجرة، ففتحها، وحرّقها، وسجّل هذه الواقعة العظيمة الشاعر العباسيّ العظيم - أبو تمام في قصيدته البائيّة المشهورة. ثم.. عَرَّج على المنجِّمين، فسخر من علمهم، فقال:

..أينَ الروايةُ، بل أين النجومُ وما ... صاغوهُ من خُرُفٍ فيها ومن كَذِبِ؟
تَخَرُّصا، وأحاديثا مُلفّقةً ... ليست يَنَبْعٍ، إذا عُدّتْ، ولا غَرَبِ

- وأنا أقول كما قال أبو تمام: إنّ ما زعمه العلماء الغربيون المهتمون بالبلاد العربيّة وباللُّغات «العربيّة» هو كتنبُّؤ المنجّمين للمعتصم.. ليس إلا «تخَرُّصا وأحاديثا مُلفّقة».

حقيقة لا يمكن دَحضها..كيف تكشّفت لي هذه الحقيقة ومتى؟

- قبل أربعة أشهر تقريبا كنتُ أُعِدُّ لموضوع طرقه بعض لغوييننا القُدامى، وهو أن العربيّة «الفُصحى» إلهامية، وليست اصطلاحيّة. بَيْدَ أنهم اكتفوا بإحساسِهم أنّ الفُصحى لُغة عظيمة لا يمكن أن تكون من صُنع البشر. وأنا - بعد اطلاعي على كثير من قواعد العربيّة، ومن قوانين فِقهها - اقتنعت، معهم، أنها «إلهامية». ولكنّي رأيت ألا أكتفي

(١) كُتبت سنة - ٢٠٠٥.

بهذه القناعة، غيرَ مُدلّل عليها تدليلا عِلميا. فأخذت أبحث فى كتب (فقه اللّغة) – إضافة إلى كُتبِ النّحو والصّرف.

وفى إحدى الأمسيات كنت أقرأ فى كتاب: (دراساتٌ فى فقهِ اللّغة – للمرحوم الدكتور صبحى الصالح). فقرأت العبارة الآتية: (والتسمية.. لم تُخترع اختراعا، فهى مُقتبسة من الكتاب المُقدّس الذى ورد فيه أن أبناء – نوح – هم سامٌ وحامٌ ويافثُ، وأنه من سُلالتهم تكوّنت القبائل والشعوب)[1].

ويقصد بالتسمية تسمية شعوب هذه المنطقة (أيْ: الجزيرة العربيّة، والعراق، وسوريا الكبرى) «بالشُّعوب السّاميّة» ولغاتها «باللُّغات السّاميّة»!!

فَطَرَقَتْ عقلى.. «فكرةٌ»: هَبْ معى أن[2] هذا القول لم يرد إلا فى التوراة.. أنصدّقه ونأخذ بـه ونعتمـده؟ والتوراة.. غير موثوقة عندنا، لأن رسـولنا – صلى الله عليه وسـلم – يقول: «لا تُصدّقوا أهلَ الكتاب ولا تكذّبوهم. وقولوا: آمنّا بالله، وما أنزل»[3]. أيْ: ما أنزل من التوراة والإنجيل، قبل التّحريف وما أنْزل من القرآن الكريم الذى حفظه الله تعالى من التّحريف.

والتوراة.. ليست مصدرا موثوقا لثلاثة اعتبارات: الأول – ما ورد فى القرآن مثلُ قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة: ٧٩].

والثانى – قول رسولنا الأعظم.. السابق.

والثالث – أن التوراة غيرُ مُوَثّقة[4].. أولا – لما ذكر القرآن من تحريفها.

وثانيا – لأنها لم تكتب إلا بعد وفاة موسى – عليه السلام – بسبعة قرون! (لاحظْ.. أن الحديث النبوىّ الشّـريف كُتب جُلُّهُ، بعد وفاة رسـولنا – صلى الله عليه وسـلم

---

(١) صبحى الصالح – دراسات فى فقه اللّغة – ٣٦. دمشق/ مطبعة الجامعة، دمشق – ١٩٦٠م.

(٢) هـبْ أن.. مـا ورد فى المعاجـم العربى هو تعدية (هبْ) بدون (أنّ)، أى: هـب هذا القول. وقد خطّأ الرافعى.. طه حسـين باسـتعماله (هبْ أنّ). بيد أنى لا أرى ذلك خطأ، لأن – هبْ) تضمنت معنى (افرض)، وافـرض تليهـا (أنّ). والكلمة إذا تضمنت معنى كلمة أخرى أخذت حكم هذه الأخرى. وهذا.. كثير فى اللّغة، فهو قانون لغوىّ.

(٣) البخـارى – محمـد بـن إسماعيل – صحيحه – ٩٥٣/٢، اليمامة/ بـيروت/ دار ابن كثير – ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

(٤) غـير موثوقة.. شـىء، وغير موثّقة.. شـىء آخر، فغير موثوقة: لا يُوثَقُ بمـا ورد فيها. وغير مُوَثّقة: لم يُتّبعْ الأسلوب العلمى فى روايات أخبارها.

– بقـرن إلـى قرنيـن.. ومع ذلك.. فيقال جمـع البخارى – رضى اللـه عنه – مئة ألـف حديـث. ولكنه لم يُثبت منهـا فى (صحيحه) إلا سـتة آلاف حديث، ونيّفا. أيْ: لم يَثبت إلا سـتة بالمِئة مما جمع[1] (٦٪). فكيف بكلام لم يُدوّن إلاّ بعد سـبع مئة سنة؟).

– هذا.. فضلا عن أن الحديث « مُوَثّق» بسلسـلةُ رُواة. والتّوراة ليس لها سلسلة رواة! ومـع هذا.. فلا يزال نقاد الحديث يجدون بعض الأحاديث – الضّعيفة أو الموضوعة، فى صحيح البُخارى.. إما لضعف فى سلسلة الرواة، وإمّا لأن متن الحديث.. فيه قَولانُ.

– وفوق هذا.. فقد كُتِبَ معظم التوراة، واليهود فى السَّبيْ، فى العراق، مما جعل كثيرا من الأقوال والخُرافات الآشورية، والبابلية والسُّومرية.. تتسرَّب إليها!.

– أبعد هذا.. يصحُّ أن تُتَّخذ أخبار التوراة مصدرا «موثوقا» إذا لم تدعَمها مصادر أخرى؟ طبعا..لا يصحّ.. إلا إذا دعمتها مصادر أخرى، والمصادر الأخرى.. لا تدعمها.

المصادر الأخرى التى نبحث فيها

لأنها مظانُّ قد نجد فيها شيئا يدعم هذا الخبر بالذات، (وهو أن أبناء نوح عليه السلام، هم: سام، وحام، ويافث) – هى أربعة:

١ – القرآن الكريم.

٢ – الحديث النبويّ الشّريف.

٣ – التاريخ القديم.

٤ – النُّقوش التى استخرجتها الحفريّات.

١ – القرآن الكريم

ما ورد فى القرآن الكريم.. يُشير إلى أن ذُريّة نوح – عليه السلام – هم الباقون: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ « [الصافات: ٧٧] دون أن يذكر القرآن أسماء ذريته أو أسماء بعضهم. ثم.. هم الباقون من «قومه» وعلى «التغليب» لا من جميع الأقوام. بدلالة أن الله تعالى قـال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٦ – ٣٧].

(١) هذا.. إذا صحت الرواية أن البخارى جمع مئة ألف حديث صحيح. بَيْدَ .. أنى شديد الشّكّ فى ذلك.

والمُغرقون هم الذين لم يؤمنوا من – قومه – بدلالة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۗ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠] وبدلالة أنّ الصينيّين والفُرس لم يسمعوا بهذا الطوفان. (انظر د. سعد زغلول – تاريخ العرب قبل الإسلام – ٨٣).

– قلت: (وعلى التغليب).. لأن الله العليم الخبير يقول فى سورة (الإسراء: ٢، ٣): ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ فهذا «يعنى أن موسى – عليه السلام – وبنى إسرائيل، من ذريّة المؤمنين ذريّته هم الباقين) – من باب التغليب، لأن ذريّة مَنْ حُمِل معه كذريته هو، لأن المؤمنين إخْوَة. وإخوة ذريته هم من ذريته كذلك.

– ولأن الله تعالى يقول – مرة أخرى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ والحديث، هنا، عن النبيين.

والنبيون هم – هنا – من ذرية آدم، وممن حُمِل مع نوح (وليس من ذرية نوح) ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل. فالأغلب، من منطوق هذه الآية، أن الأنبياء كانوا من ذرية آدم، ومن ذرية من حُمِل مع نوح (وليس من ذرية نوح) ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل – عليهم السلام، جميعا.

– وإذن «وجعلنا ذريته هم الباقون» من قومه، معنى التغليب – كما أسلفنا. وهذا.. يُضَعِّفُ القول بأن نوحا له أبناءٌ ثلاثة هم: سامٌ، وحامٌ، ويافثُ. وكلٌّ منهم جدٌّ لأقوام من البشر، لأن الأقرب إلى ما يُعتبر أن الأقوام من سلالة الأنبياء – كما كان أصل الناس من سلالة آدم – عليه السلام، وإذن – نوح.. له أبناء: (وجعلنا ذريته..) لكى تعينهم بثلاثة هى الأسماء التى سبقت.. فخبرٌ ضعيف جدّا – لم يَرِدْ إلا فى التوراة – أصلا. ثم أخذه المؤرخون – غفر الله لهم – عن التوراة، من دون تحقيق أوتوثيق، وما أكثرَ ما نقَل المؤرخون أخبارا كاذبة، لا أصلَ لها «موثوقا – ومُوَثّقا» ولم يورد القرآن لنوح إلا ابنا واحدا دون أن يُسمِّيَهُ. وقد غرق فى الطوفان.

٢ – الحديث الشريف

– استدعِّيت بواسطة الحاسوب مادة (سام، حام، يافث) فلم أجد إلا حديثا

واحـــدا «موضوعـــا»[1]. ضعَّف أحد رجاله يحيى ابن معين والبخـــارى – رحمهما الله – والرّاوى المُضَّعف هو: محمد ابن يزيد بن ســـنان. ثم.. راوٍ آخر هو: يزيد ابن سنان. قال البخارى: مقارب الحديث[2]. ولكن ضعَّفه يحيى ابن معينٍ وجماعة[3].

والـــراوى المُضعَّف لا يُؤخذ بالحديث الذى يكون هو واحدا من سلســـلة رواته، إلا إذا رُوِيَ الحديث من طريقة أو طرق أخرى. وهذا الحديث لم يُرْوَ من طريقة أخرى.

– و هذا الحديث الموضوع هو: «وَلَدُ نوح.. سام وحام ويافث. فولد سام العرب وفارس والـــروم. والخير فيهم، وولد يافث.. يأجـــوج ومأجوج، والترك والصقالبة، ولا خير فيهم. وولد حام.. القبط والبربر والسودان»[4].

– وهذا الحديث مردود «متنا» أيضا. فلماذا العرب والفرس والروم.. الخير فيهم؟ ولماذا الترك والصقالبة.. لا خير فيهم؟ إنّ الواقع «يُكذِّب» هذا.فليس العرب والفرس والروم خيرا من الترك والصقالبة. والرســـول – الصادق الأمين العادل – لا يقول مثل هذا أبدا. ثم.. إنّ الفرس والروم.. جنســـان مختلفان، الفُرس شرقيون والروم غربيون، فليسوا من أصل واحد. إن واضع الحديث «لا بُدّ من الفرس أو الروم الذين كانوا كثيرين فى دولة الإســـلام، وليس كذلك الترك والصقالبة فى بدء دولة الإسلام.

– حاصل هذا.. أن الرســـول الأعظم لم يقل: أولاد نوح هم: سامٌ وحامٌ ويافثُ. والمؤكد أن الـــذى صنع هذا القول، وســـمَّاهُ حديثـــا قد اعتمد على ما فى التـــوراة هذه التى لا ثقة بأخبارها. فهو إمّا يهودى أســـلم، أو مُســـلم اطلع على التوراة، أو سمع من يهودى. أو هو من الفرس أو الروم – كما ذكرنا تَوًا. وما أكثرَ الدوافعَ لوضع الأحاديث! ولكنّ هذا.. خارجٌ عن إطار بحثنا[5].

التوجُّهُ نحو المصدرين الباقين:

إذن.. ما العمل؟

– العمل هو التوجُّه نحو المصدرين الباقيين – التّاريخ والنُّقوش. فقد نجد فيهما أو فى

---

(١) الحديث الموضوع: هو الحديث المصنوع أو المكذوب. أى: وضعه رجل، ولم يقله الرسول الأعظم.

(٢) مقارب الحديث.. أى: أدنى مرتبة من الحديث الحَسَن.

(٣) هكذا.. وردت العبارة، أى: لم يذكر بالاسم إلا يحيى ابن معين.

(٤) على ابن أبى بكر الهيثمى – مجمع الزوائد– ١/ ١٩٣ – القاهرة / دار الريان للتراث – ١٤٠٧هـ

(٥) فصّلنا الدوافع والأسباب – لِوَضْع الحديث – فى كتابنا المخطوط السابق ذكره: [العصمتان].

أحدهما ما يدعم فرضية العلماء الغربيّين المختصّين بهذا الشأن – سواءٌ أكانوا مستشرقين أو غير مستشرقين.

٣ – التاريخ

بدأت بالمؤرخين الإسلاميين، وفى مُقدّمتهم شيخ المُفسّرين والمُؤرّخين الإمام محمد ابن[١] جرير الطبرى، فى كتابه (تاريخ الرُّسل والملوك).. فلم نجد فيه شيئا مُوَثّقا، بل اعتمد على الحديث السابق المصنوع، فقال: (وقد ذكرنا قبل عن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أنه قال فى قوله – عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ « أنهم سام وحام ويافث)[٢].

أقول: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أى: هم الباقين من قومه، لا من الخلق أجمعين، لأن الصينيّين والفُرس – مثلا – لم يسمعوا بهذا الطوفان![٣] كما أسلفنا.

– ومن البديهى أن المؤرّخين الآخرين كالمسعودى، والبلاذرى، بل وحتى ابن خلدون – لم يقولوا شيئا يُضاف إلى ما قاله الطبرى – لأن الطبرى هو أسبقهم فقد توفى سنة – ٣١٠ هـ وفعلا.. لم أجدْ عندهم شيئا يضاف إلى ما قاله الطبرى.

– ثم.. انتقلنا إلى التاريخ القديم – التاريخ اليونانى والتاريخ الرومانى – من خلال كتاب (المفصّلُ فى تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد على. فلم نجد فيما ورد فيه – منهما (وما ورد فيه كثير) شيئا يُشير إلى أن لنوح ثلاثةَ أبناء: سامٌ وحامٌ ويافثُ. بل لم تَرِدْ لفظة «سام» إطلاقا، لا ابنا لنوح، ولا غيره من خلق الله.

ليس العرب من أصل غير عربى

ولقد أورد جواد على نصوصا كثيرة مما كتبه المؤرّخون اليونان والرومان، عن العرب، فلم نجد ولا نصّا واحدا مثلا عن أحد ملوك اليمن، أو ملوك الآشوريين والبابليين والسومريين – وهم قُطّان العراق. أو ملوك الكنعانيين والفينيقيين– وهم قُطّان سورية الكبرى، أو غيرهم

---

(١) كلمة (ابن) أكتبها دائما، وفى بَدئها ألف، لأن حذف الألف، أينما وقعت، لا مُبرر معقولا له. فهى مثل ألف (ال القمرية)، فهى تسقط فى درْج الكلام، ومع ذلك.. لا تسقط فى الكتابة. فضلا عن أن كتابتها بالألف دائما يجعلها ذات قاعدة واحدة. وهذا.. يُخفف على طالب العلم كتابتها.

(٢) الإمام محمد ابن جرير الطبرى – تاريخ الرُّسل والمُلوك – ٢١١/١ – القاهرة/ دار المعارف – ١٩٦٦.

(٣) أنظر: سعد زغلول عبد الحميد – فى تاريخ العرب قبل الإسلام – ٨٣ – بيروت/ دار النهضة العربيّة – ١٩٧٦.

مـن ملوك الشُّـعوب الذين قطنوا هذه الأماكـن – يؤرخ لحادثة، مثـلا، فيقول: لقد قام – الملك حامورابى الذى ينتمى إلى السومريين – (والسومريون هم: أبناء سام)، قام بوضع شـريعة يتحاكم إليها الناس.بل على العكس من ذلك وردت عشرات النُّصوص فى التاريخ اليونانى تذكر (العرب) و(الجزيرة العربيّة)، منها:

– (ولما أراد الاسـكندر احتلال غزةَ فى طريقه إلى مصر.. قاومت المدينة ودافع عنها رجلٌ سـمّاهُ «أريان» –وأريان هذا [هو مُؤرِّخ يوناني] دافع عنها – باتس – أيْ: باطش، مُستعينا بجيوش عربية قاومت مقاومة شديدة). وكان ذلك سنة (٣١٥) قبل الميلاد[١].

– (ونجد فى كتاب (تاريخ الإسـكندر)، لمؤلفه – كوينيس كورنيوس – خبرا يفيد أن جيوش الإسكندر لم تتمكن من دخول – جزيرة العرب[٢]).

– ثم (بنى الإسكندر مدينة يُظنّ أنها «المحمَّرة».. بُنيت فى النّهاية القصوى من الخليج العربى.. عند خَطِّ ابتداءِ «العربيّة السعيدة»، ويقع نهاية – دَجْلَةَ – على يمينها)[٣]!.

.. ومثل النصوص اليونانية – النصوص الرومانية.

– ومن المُؤرخين الرومان (بيلنيوس) المتوفى سـنة – (٧٩) ب. م (وقد أشار فى مطلع حديثـه عـن الحملة إلى أن (أوليوس غالـوس) كان القائد الرومانـى الوحيد الذى أدخل محاربى – رومة – جزيرة العرب. وقد خرَّب مدنا)[٤].

– وبعد أن كوَّن «تراجان» ما يُسـمَّى بـ «المقاطعـة العربيّة» أو – «الكورة العربيّة» أراد احتلال كامل العربية السعيدة.

– Arabaca – Prouancia – فى سنة – ١٠٥ –أو – ١٠٦م[٥].

– (.. فإن القيصر – سباتيميوس – أرسل حملة عسكرية فى سنة –٢٠١م، توغّلت فى العربيّة السعيدة)[٦].

---

(١) جـواد علـى – المُفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسـلام – ٨/٢، بيروت/ دار العلـم للملايين/ بغداد/ دار النهضة – ١٩٦٨م.

(٢) المرجع نفسه – ٢/ ٩.

(٣) المرجع نفسه – ٢/ ١٢.

(٤) المرجع نفسه – ٢/ ٥٢.

(٥) المرجع نفسه – ٢/ ٦٥.

(٦) المرجع نفسه – ٢/ ٦٦.

– لاحـظْ، أخـى القارئ، أن كلّ النُّصوص (ومثلُها عشـرات) تَذْكُـر العرب والعربيّة السعيدة، أىْ: جزيرة العرب. وليس فيها ولا نصّ واحد يذكر «ساما» أو «السَّاميّين».

٤ – النُّقوش:

يقول الدكتور محمود فهمى حجازيّ فى كتابه (علم اللّغة العربيّة): كَشَـفت الدراسات الميدانيـة التى قام بها عدد من الأوروبيّين، فى منطقة شـمال الجزيرة العربيّة، ابتداءا[1] من منتصف القرن التاسـع عشـر إلى اليوم عدّة آلاف من النُّقوش[2]. وهى ثموديّة ولحيانية وصفوية. وكُشِفت نصوص أكّادية (بابلية وأشورية وسومرية) ونُصوص آرامية وفينيقية.

– أقـول بَيْـدَ أن كلّ هذه النُّقوش تتحدث عن الأقوام التى ذُكـرت آنفا، كلٌ مجموعة تتحـدث عـن جماعة من هـذه الجماعات. ولم يكـن فيها ولا نصٌّ واحد، يذكر.. سـاما أو السَّاميّين أو السَّامية، لا من بعيد ولا من قريب.

بل إنّ النُّصوص الآشـورية تشير إلى العرب الذين يعارضون سياسة آشور، منذ (٨٥٤) قبل الميلاد[3].

كاتب.. يعتبر السامية «بدعة»:

– يقول رجا عبد الحميد عُرابى، فى كتابه (سِفْرُ التاريخ اليهودى): (كما نجح اليهود فى ربط أصولهم بأصول شعوب المنطقة العربيّة عن طريق «بدعة» السامية، كذلك.. أرادوا ببدعة (العِبرية) وتسمية أنفسهم عِبرانيّين أن يربطوا تاريخهم بتاريخ شعوب المنطقة)[4].

– لاحـظْ أن الأسـتاذ رجا عبد الحميد قد سـبقنى إلى اعتبار السَّـامية «بدعة»، كما اعتبرتها أنا «خُرافة» لا تقوم إلا على تَخرُّص، وأحاديثَ مُلفَّقة. الفرق أنه أطلقها من موقف «سياسـي»، ولذلـك.. فهـو – غالبا – لا يقصد أنها ليس لها أصـل وإنما يقصد أن دولة إسرائيل، والصهيونية العالمية ابتدعت اصطلاح السَّامية، بل شِعار السَّامية، لكى تُكمِّم به أفواهَ مُنتَقِديها. ولذا.. لم يُدلِّل على بطلان السامية، وأنه لا أصلَ لها.

أمـا أنا.. فأطلقتها مـن موقف «علميّ» محض، إذ لا أصلَ لهـا حقا. ولذا.. فقد قُمت – فى هذا البحث – بالتدليل على ما قررته سابقا.

---

(١) ابتداء، واستثناء.. وما شابههما.. أكتبُهن بألف منوّنة بعد الهمزة، إذْ لا مُبرر معقولا لحذفها إلا وجود قاعدة تقليدية بذلك. وإلا.. فهُنَّ مثل: سِـراعا، واسـتيداعا..فهل يجوز أن نحذف الألف المُنوَّنة بعد العين؟ والهمزة أخت العين. وقد سبق التفصيل، بعد المقدمة.

(٢) محمود فهمى حجازى – علم اللّغة العربيّة – ٢١٩، الكويت/ وكالة المطبوعات – ١٩٣٧م.

(٣) جواد على – المفصل فى تاريخ العرب فى الجاهلية – ١٦٥/١.

(٤) رجا عبد الحميد عُرابى – سفر التاريخ اليهودى – ٤٨.

التشابه بين اللُّغات القديمة فى هذه المنطقة ليس دليلا على السامية

– قرَّر المُختصون الغربيون بلغات المنطقة العربيّة.. ثلاثة أشياء:

١ – هذه اللُّغات.. بينها «تشـابُهٌ». ولهذا.. فهى ترجع إلى أصل لُغوى واحد، أىْ: لغةٍ أُمٍّ لها جميعا.

٢ – هذه اللّغة هى اللّغة السامية الأولى التى انبثقت عنها هذه اللُّغات[1].

٣ – هذه اللسعة الأم؟؟؟ موطنها كان جزيرة العرب.

– أمّا أنَّ هذه اللُّغات.. بينها تشابهٌ.. فهذا.. صحيح. وإنْ كان افتراضُ أصلٍ واحد لهذه اللُّغات.. هو افتراض لا يقوم على دليل «مُقنع». لأنّ التّشابه، فى بعض الصِّفات، لا يعود إلى أنها آتية من أصل واحد. وإنما يعود إلى أمرين:

– الأول: أن اللُّغات جميعها.. بينها.. بعضُ الخصائص المشتركة. وأمامى كتاب وَجَدَ مؤلّفه شـبها بين العربيّة والإنجليزية (لاحظ العربيّة والإنجليزيّة!) بلغت ألفا وخمسـمائة لفظة (١٥٠٠)، ولم يتناول من المعجم إلا ثمانية حروف[2].

– ذلـك.. لأن طبيعـة الإنسـان لا تختلف اختلافا جذريا بين شـرق وغرب وشـمال وجنوب. ولهذا.. فمُعظم الأصوات اللّغوية هى مُشتركة بين جميع الأمم.

– والثانى: أنه إذا كانت لُغات الأرض جميعا.. بينها بعض التّشابه فإنه من البديهى أن لُغات المنطقة الواحدة بينها لابُدّ، تشـابُهٌ أكبرُ، عن طريق تقارب التكوين البيولوجى والفِكـرى لمن يقطنون منطقة واحدة، وعن طريق تقارب الألفاظ بين هذه اللُّغات، ومحاكاة اللّغـة الجديـدة منها اللّغـة القديمة ببعض القواعـد الصرفيّة، وتركيـب الجُمل. وهذا.. لا يقتضـى– مـن حيثُ العقل والعلـم الضروريّ – وجود لغة أمٍّ أتـت منها هذه اللُّغات. وإلا.. فإنّ كل لُغات الأرض لها «أمّ» واحدة. لوجود التّشابه بينها.

– وممّـا يزيـد أمرَ تشـابه اللُّغات – حتى المتباعدة منها فى المنْشـأ – وضوحا.. أن دارسى عائلات اللُّغات «اضطربوا» فى تحديد موطن ما أسمَوهُ (السّاميين والحاميين).. فقال بعضهم بأن موطن الشـعوب السّـاميّة منطقتا دجلة والفرات. ورأى بعضهم الآخر بأن منشأ

---

(١) محمود فهمى حجازى – علم اللّغة العربيّة – ١٣٩.

(٢) أنظـر: عبـد الرحمن أحمد البوريني – اللّغة العربيّة أصل اللُّغات كلها، عمّان/ دار الحسـن للنشـر والتوزيع – ١٩٩٨م. وأنا «لا أوافقه على أن العربيّة أصل اللغات، لكن نسـتخلص من كتابه أن جميع اللُّغات بينها قدر من التشابه، فكيف بلغات المنطقة الواحدة. وذلك.. لا يستدعى لزوم أصل واحد لهنَّ.

الشـعوب السّاميّة والحاميّة.. إنما هي إفريقية أو الحبشة. لماذا؟ لأنهم وجدوا – وهذا هو موطن الاستشـهاد – «تقاربا» بين اللغات السّـاميّة والحاميّة. وعندى أن التّقارب طبيعى لتشابه الطبيعة البشريّة.

– لاحظْ أنهم وجدوا تقاربا بين ما أسمَوْهُ اللُّغات السّاميّة، واللُّغات الحاميّة، فبَنَوْا على ذلك «وهما»، وهو أنهما – إذن – من موطن واحد! بَدَلَ أن ينتبهوا إلى أن تشابه اللُّغات (فى بعض الخصائص) راجع إلى تشابه الطبيعة البشريّة ليس أكثرَ.

– ولضلالهم فى البحث والاستنتاج عَدُوا ما أسمَوْهُ الشُّعوب السّاميّة، والشُّعوب الحاميّة من موطن واحد أصلا، ثم.. افترقا؛ السـاميّون.. استقروا فى منطقتنا هذه، والحاميّون.. استقروا فى إفريقيّة!

– مع أنه واضح وضوحا كبيرا.. أن هناك فرقا فى لون البشرة، والملامح بين سكان هذه المنطقة، وبين سكان إفريقية، مما يُبعد احتمال أن يكونوا قد نشاءا فى موطن واحد..

– أما الشيء الثالث: فهو افتراضهم وجود (أمّ ساميّة).. وهذا ثبت بطلانه، بما أسلفنا من الأدلة.

وكما أن ساما ابن نوح خرافة، لم يرد هذا الاسم إلا فى التوراة غير الموثوقة – كما بيّنا – فإن الجنس السّامى، والشُّعوب السّاميّة واللُّغات السّاميّة.. مُصطلحات، تقوم على فَرَض لم يدعَمْهُ شيء لا من العِلم، ولا من التّاريخ، ولا من النُّقوش.. ونتيجةٍ لهذا.. فليست هذه إلا مُصطلحات جوفاء.. لا حقيقةَ لها تستند عليها، فيجب اطراحها بلا تردُّدٍ.

متى عُرف هذا المُصطلح؟

– وضـح لنا – مما سـبق – أن هذه المُصطلـح.. لا أصلَ له فى القديم، لأنه لا حقيقة له ألبتّةَ.

وأوّل من أطلق هذه المُصطلح – على اعتباره فَرَضا – نمساويٌّ، اسمه «أُوغست لوديك شلوتسر» عام – ١٧٨١م. وقد أخذه من التوراة، كما سلف القول – والعجب من هذا الرجل – سـواءٌ أكان يهوديـا أم مُتصهينا – أن يأخذ مُصطلحا مـن كتاب يعلم كلُّ عالم منصف أن هذا الكتاب غيرُ موثوق. للأسباب التى أسلفنا ذكرها – فلا يجوز الاعتماد على ما ورد فيه، من «الأخبار» خاصّة!!

– ثـم.. العجب الأكـبر من عُلماء الغـرب المُختصّين بهـذا الموضوع، فـرَضٌ أُطلق..

ثم بعد البحث والتّنقيب.. لم يوجد ولا دليل واحد يدعمه، لا من التاريخ، ولا من الحفريات – فكيف لم يعدلوا عنه ويطرّحوه، والعهدُ بالفُروض التى لا تثبت بدليل أن يطرحها العلماء؟ أم أنّ الحضارة الغربية التى تَعُدّ حَمَلَةَ العهد القديم جُزءا منهم.. لا تريد أن «تُزعل» اليهود، فكان أن أبقى العُلماء المُنحازون هذا المُصطلح، برغم أنه تبيّن أنه خُرافة لا أصلَ لها؟ تبيّن لهم – كما تبيّن لنا – لعدم وجود دليل عليه، ولو كان دليلا واحدا.

– ثم.. العجب الأدهى والأمرُّ من المؤرّخين العرب المُعاصرين، واللّغويين العرب المعاصرين – الذين انطلت عليهم هذه الخُرافة، فأخذوا يُردِّدونَها، كما تُردِّدُ الببغاوات الأصوات، غير مُتَنَبِّهين أن كلّ ما يقوله علماء الغرب، حول أصل العرب ولُغتهم، وديانتهم – يجب أن نبدأ النّظر إليه «بالشكّ» حتى يثبت أنّه صواب. لأنّ أحقاد الغرب على هذه المنطقة العربيّة موغلة فى القِدَم، منذ أنْ حاول الإسكندر المقدونى، قبل الميلاد، احتلال العربيّة السعيدة (أيْ: جزيرة العرب) ولم يستطع، مرورا بالحروب الصّليبية، ثم الاستعمار الغربى، ثم.. هذا الاستعمار الاحتلالى الأمريكى الهمجى الغاشم. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ « [هود: ١١٣].

– ولكن، ما الحيلة وقد كان مفكّروا النصفِ الثانى من القرن التاسع عَشَرَ، والنصف الأول من القرن العشرين مُنْضبعين بما يأتى به عُلماء الغرب، فيظنونه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. مع أن الحق أن عُلماء الغرب – مُستشرقين وغير مُستشرقين – مُنحازون إلى إسرائيل، ومُنحازون «ضد» هذه الأمّة الإسلاميّة، جذورا، وحاضرا، وتُراثا وفِكرا.

من نحن إذن؟

– إذا كان «سامٌ» لا أصلَ له، وكان اصطلاح السّاميّين – تبعا لذلك – واللُّغات السّاميّة.. لا أصلَ له – فمن نحن إذن؟

– نحن.. عَرَبٌ، منذُ أقدم العصور. نشأنا فى الجزيرة العربيّة، وخرجت موجات عربية كثيرة من الجزيرة العربيّة إلى أطرافها الشمالية والشرقية بحثا عن الخصب واعتدال المناخ. ومن هذه الموجات الأكّاديون فى العراق، وكان منهم السُّومريون والبابليون والآشوريون. ثم.. الكنعانيون والآراميون والفينيقيون إلى بلاد الشام. ثم.. الموجات العربيّة، زمنَ الفتح الإسلامى.

– أما الجدّ البعيد البعيد.. فلا يعلمه إلا اللهُ. وما ذكره المُؤرِّخون عن تسلسل البشرية من آدم – عليه السلام – إلى نوح – عليه السلام – ثم من نوح إلى اليوم.. ليس إلا رجما بالغيب، ليس إلاّ «تخرّصا وأحاديثا مُلفّقة» كما قال الشاعر العظيم أبو تمام.

– ذلك.. لأنّ الأخبار عن نسل آدم إلى عدنان إنما قام على الرِّوايات «الشفويّة» التى يعتورها النسيانُ، والكذب، والمزاج، والهوى، وحبُّ الظهور بمظهر الذى هو بكل شيء عليم. وانعدام المعرفة بمدة عمر الإنسان على هذه الأرض – المدة التى تبلغ مئات الملايين من السنين. فما بين آدم ونوح لعله عشرَة ملايين سنة!.

– وما قيل عن خُرافة «السّاميّة» وأباطيلها.. فاعلم أنها «فرضية» لم يؤيّدها ولا دليل واحد، وما أبقى عليها إلا انحياز الغرب لإسرائيل، وتخطيطهم لمحو «الهُويّة» العربيّة، والإسلاميّة، لأنها.. هوية ذات حضارة من أقدم العُصور وإلى اليوم تخالف حضارتهم أما قال شاعرهم (كِبْلن): (الشرقُ شرق، والغربُ غرب، ولن يلتقيا)؟ ثم.. على الطرف الآخر.. أما قال صادقا شاعرنا (أحمد شوقى):

وللمستعمرين، وإنْ ألانوا قلوبٌ كالحجارةِ لا تَرِقُّ..؟

فلنتناول كل ما يقوله الغربيون عَنّا «بمنهج الشكّ» حتى لا نقبل إلا ما هو حق. وما أقلَّ الحقَّ عندهم، إذا تناولوا قضايانا، وديننا الحنيف. والله هو العليم الخبير – فالغيب له – ومعرفة الحق منحة للإنسان منه.

أقسامُ الكتابِ

القسمُ الأولُ: **كيف يتعلم الإنسانُ اللغةَ؟**

القسمُ الثانى: **اللغة العربيةُ.. إلْهاميةٌ.**

القسمُ الثالث: **التعرُّفُ على عبقرية العربية الفصحى.**

القسمُ الرابعُ: **العربيةُ والتعريبُ – والنظرُ المعاصر – فيها.**